

البيوسياسة والنزعة الإنسانية المتجاوزة/المتحولة: المفهوم والعلاقة

Biopolitic and Transhumanism : Difinition and Relationship

مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال، جامعة 8 ماي 1945 قلمة / الجزائر	فلسفة تطبيقية	إيمان خلاف* khallef imane khallefiman24oz@gmail.com
جامعة 8 ماي 1945 قلمة / الجزائر	الفلسفة	كمال حاج علي kamel hadjali kamelhadjali83@gmail.com
ORCID:	DOI: 10.46315/1714-014-001-006	

الإرسال: 2024/02/17 القبول: 2024/10/12 النشر: 2025/01/16

**

ملخص:

تناقش هذه الدراسة العلاقة بين "البيوسياسة" كمفهوم طوره الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو مشيرا به إلى الشكل الحديث من أشكال السلطة، غرضه تحسين الحياة والتحكم بها، خاصة من خلال ما تقوم به الدولة من تقنيات بيولوجية في السياسة الصحية وفي الأوبئة والحروب وغيرها، وبين "الإنسانية المتجاوزة" كنزعة تؤيد تعزيز البشر بالتكنولوجيا لتجاوز حدوده البيولوجية الموسومة بالضعف والعجز وصولا إلى الإنسان الفائق، وهذا من خلال الكشف عن التقاطعات والاختلافات بينهما، ثم الوقوف عند دور البيوتيقا باعتبارها موجه وضابط أخلاقي لممارسات كلا النزعتين، وهذا تحسبا لأي انزلاق يهدد مصير الإنسان وكرامته .
كلمات مفتاحية: البيوسياسة؛ السياسات الحيوية؛ الإنسانية المتجاوزة؛ ما بعد الإنسانية.

Abstract:

This study discusses the relationship between biopolitics, a concept developed by french philosopher Michel Foucault, which refers to modern forms of power aimed at enhancing and controlling life, particularly through state use of biological techniques in warfare and public health policies...ECT. It also explores Transhumanism as a tendency that supports enhancing humans with technology to surpass biological limitations associated with weakness and incapacity, aiming towards superman, The inquiry examines intersections and differences between these concepts , and emphasizes the role of bioethics as a moral guide and regulator for practices influenced by both tendencies, and this is in anticipation of any slip that threatens the fate and dignity of human .

Keywords : Biopolitics ; transhumanism ; posthumanism.

**

1- مقدمة (Introduction):

عبر التاريخ الفكري الإنساني لا نجد تقاطعا للحياة مع السياسة مثل الوقت الذي نعيش فيه والذي وصف بعصر الجينوم، نتيجة للتطورات الهائلة في المجال البيوطي والتي تلمس

تجلياتها أكثر في علم الوراثة والجنوم، علم الأعصاب ووظائف المخ والخلايا الجذعية، حيث كلها فروع قدمت إجابات لأسئلة كنا نجهلها، وكشفت عن مكنونات أعمق عن الطبيعة البشرية، وعلى اعتبار أن السلطة السياسية تسعى لتحقيق المنفعة والصحة والراحة للبشر، وفي الوقت نفسه أقصى استغلال لهذه الطاقة البشرية، يفترض أن تراعي وتهتم في آليات تطبيقها وطرق ممارستها بهذه التطورات، هذا ما أدى إلى اندماج السياسة بالحياة البيولوجية للإنسان فنشأ بذلك مفهوم " السياسات الحيوية " أو " البيوسياسة " ، ومن منطلق أن نزعة " الإنسانية المتجاوزة " تقدم نفسها كمشروع علمي ثقافي يستفيد من كل هذه التطورات البيوتكنولوجية لتحسين الإنسان والإعلاء من قدراته الجسدية وكفاءاته الذهنية وأداءاته الحركية الحسية ليكون أسرع، أذكى، أقوى أي أنه فائق Super ، مما يوحي بوجود تقاطع وعلائقية بين هذه النزعة والبيوسياسة.

للإحاطة أكثر بهذه العلاقة يجدر بنا طرح الإشكالية على النحو التالي :

ما طبيعة العلاقة بين البيوسياسة والإنسانية المتجاوزة؟ وكيف تساهمان في تحسين الكائن البشري بيولوجيا؟ وما هي التحديات الأخلاقية الناتجة عن تدخلهما في حياة الإنسان؟
-فرضيات البحث : وقد وضعنا في هذا الشأن فرضيتين أساسيتين يمكن صياغتهما كالآتي:
-بما أن السياسة الحيوية تسعى لإخضاع البشر باسم الإحياء، وأن حركة الإنسانية المتجاوزة تسعى لخلق إنسان معزز تكنولوجيا لإطالة الحياة وتعزيزها، مما يجعلنا نفترض وجود علاقة بينهما.

-إن محاولة اقتحام حياة الإنسان البيولوجية قصد تعديله وتحسينه والتحكم به كانت لها انزلاقات أخلاقية ما استدعى حضور الفكر البيوإتيقي.
-أهداف البحث وأهميته :

لقد أردنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على هذين التصورين مفاهيميا وعلائقيا، من خلال أولا: ضبط تصور البيوسياسة وعلاقتها بواقعنا المعاش، وكذا ماهية مشروع الإنسانية المتجاوزة والبعدية وايدولوجيته، ثانيا: ضبط العلاقة بينهما في ظل عصر الجينوم، وأخيرا التأكيد على ضرورة اللجوء إلى البيوإتيقا لمنع أي تجاوز أخلاقي لكلا المشروعين.

وهنا تأتي أهمية هذه الدراسة خاصة أن موضوع كل من البيوسياسة والإنسانية المتجاوزة من المواضيع الراهنة، خاصة في هذا الوقت الذي غدت فيه الجينات كمؤسسات للجسم البشري، فالانكشاف الهائل الذي حصل في مجال تكنولوجيا الجينات جعل الموضوع ملهم: للحد الذي وصفت فيه هذه الحالة بالمنعطف السياسي-البيوتكنولوجي تشبه تماما المنعطف اللغوي أو الأخلاقي، وملح: لأن المشاكل التي تعالجها لا تعني فقط السياسيين، جميع فئات

المجتمع، مثل الرعاية الصحية، الضمان الاجتماعي، الإجهاد، التقاعد، الهجرة واللاجئين، احتكار الأدوية، التجميل، تعزيز الجسد...

2- المنهج وطرق معالجة الموضوع (Methods):

أما فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد اعتمدنا في تحليل الإشكالية على المنهج التحليلي فهو الأنسب للوقوف على التصورات المرتبطة بها والمتمثلة في: البيوسياسية، البيوسلطة، الإنسانية المتجاوزة، ما بعد الإنسانية، فضلا عن المنهج المقارن من خلال محاولة استنباط نقاط التقارب والتنافر والتي تحدد طبيعة العلاقة بين البيولوجية السياسية والإنسانية المنحولة.

إن هذا الموضوع لن يكون شيقا إذا تحدثنا عن كل مفهوم على حدى ودون ربطها بإطارها التاريخي والعلائقي، خاصة وأن الواقع يضعنا دائما في نطاق المفاهيم التي تبدو كأنها مشردة وعميقة أو تحمل أفكارا وقضايا كثيرة، وعلى هذا الأساس قسمنا الدراسة إلى ثلاث عناصر، الأول: حاولنا فيه ضبط السياسة الحيوية ضبطا مفاهيميا وتاريخيا، و الثاني: عملنا فيه على تحديد إطار مفاهيمي ورصد تاريخي لنزعة الإنسانية المتجاوزة، و الثالث: حاولنا من خلاله تبيان طبيعة العلاقة كنتائج لهذه الدراسة أعقبها مناقشة لهذه النتائج ثم خاتمة عامة.

3- البيوسياسية: الدلالة والسياق:

إن كلمة Bio أو التي تعني الحياة تم تداولها كواقع يتقاطع مع مجالات عديدة أثمرت البيوتكنولوجيا أو البيوكيمياء أو البيوفيزياء، وقد امتدت لتشمل فروعاً جديدة قد لا تبدو في الوهلة الأولى ذات صلة مباشرة بالبيولوجيا، مثل: البيوتاريخ، بيوميديا، بيوعلم الاجتماع، بيوأخلاق، و البيوسياسية هذا الأخير قد فرض نفسه على الساحة الدولية.

لا يمكن الحديث عن السياسات الحيوية دون الوقوف عند فكر الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو Michel Foucault، حيث نظر لها تنظيراً غير مسبوق، فتاريخياً ظهر هذا المفهوم في سبعينيات القرن الماضي في بعض محاضرات فوكو التي عالج فيها موضوع تاريخ الطب الحديث، وتحديدًا استخدم هذا المصطلح ضمن ندوة نظمها "معهد الطب الاجتماعي" بجامعة "ريو" البرازيلية بعنوان "المراقبة الرأسمالية للجسد"، حيث قدم فوكو محاضرة بصددتها مشيراً إلى أن: "يمثل الجسد واقعة سياسية حيوية، والطب استراتيجية سياسية حيوية". (بغورة، 2013، صفحة 136) كما تطرق إلى هذا المفهوم في مؤلفه "تاريخ الجنسانية" الجزء الأول "إرادة المعرفة" في الفصل الأخير الذي يحمل عنواناً وصف بالمشؤوم: "الحق في الموت والسلطة على الحياة"، وقد أراد فوكو من خلال الأفكار الواردة فيه تبيان مدى توجه السلطة نحو اتخاذ الحياة موضوعاً لها. ثم عمل على تطوير هذا المفهوم فيما بعد في العديد من

مؤلفاته مثل "يجب الدفاع عن المجتمع"، "المراقبة والمعاقبة، مولد السجن"، "الأمن والإقليم والسكان"، وكذا في بعض المحاضرات التي ألقاها في الكوليج ذو فرانس Collège de France بين عامي 1975م و1980م. (مراد، 2017، صفحة 210)

لكن المفكرون والمراجعون لفوكو لم ينتهوا في البداية لفكرة البيوسياسية إلا مع بعض الخبراء، إذ انصب انشغالهم أكثر بالجنسانية، إلى غاية عام 1998م حدثت التفتاة واسعة لموضوع البيوسياسية وبالضبط مع ظهور الترجمة الانجليزية لكتاب "الإنسان المستباح" للفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين Georgio Agamben الذي حلل فيه عبارة فوكو "حق الموت والسلطة على الحياة"، ما جعل المفكرين ينتهون لتنظير أغامبين الذي اعتبر أن في أفكار فوكو حلقة ناقصة وتتجلى في اعتبار أن السياسات الحياتية بدأت مع عتبة الحداثة، لكن كان لأغامبين وجهة نظر مخالفة حيث أرجعها إلى اليونان والرومان القدماء، ولم يتوقف ولو للحظة الحق في الإماتة، وبعبارة أوضح حق الحاكم في إماتة شعبه واستبدادهم. كما أقر مناقضا لفوكو بوجود تآزر سري أو علاقة خفية بين الدولة الشمولية {مصطلح سياسي يشير إلى قيام الدولة بفرض سلطتها على المجتمع والسيطرة على كافة جوانب الحياة} التي كانت سابقا والدول الديمقراطية حديثا، وعليه فحسبه نحن لا زلنا نعيش شموليات بإمكانها مصادرة وأخذ حقنا في الحياة باللحظة التي تريد، ويمكنها الهرب من المساءلة، ما يجعلنا نعيش ما اصطلح عليه بمعسكرات الاعتقال. (أبو رحمة، 2020، صفحة 107)

هذا الموضوع استفز الأوساط الأكاديمية الغربية، إذ تم الرجوع إلى الأساس الذي استند عليه أغامبين والمتمثل في التنظير الفوكاوي، مما استدعاهم لإعادة مراجعة الفصل الأخير من كتاب "تاريخ الجنسانية إرادة المعرفة" من البداية والتساؤل حول إن كانت الرؤية الفوكاوية مقنعة وواقعية، وعندما نتحدث عن سياسات فالمقصود هنا استراتيجيات وطرق وممارسات تقوم بها السلطة لذلك دائما أو غالبا ما ترتبط السياسة بالسلطة وبمفهومها السائد الذي يقر بوجود طرف معين متحكم بأطراف أخرى، وفوكو عندما تحدث عن حق الموت والسلطة على الحياة حاول أن يكشف لأول مرة عن آلية جديدة لعمل السلطة القائمة على الإنتاج والضبط، ولهذا لنستطيع تتبع مفهوم السياسات الحيوية لابد لنا أن نتعرف على مفهوم السلطة كما أنتجه فوكو.

إن أهم ما تميز به فكر فوكو نقده المبتكر للحداثة التي انطلقت منذ عصر النهضة إلى يومنا هذا، أما بالنسبة إليه فإنه يميز بين عهدين بعد النهضة، الأول سمي بالعصر الكلاسيكي ويمتد من 1650م إلى 1800م والثاني من 1800م إلى 1950م، وقد اعتبر أن السلطة منذ العصر الكلاسيكي ظهرت على أنها علاقة ثنائية بين الحاكم والشعب، يعني أنه إذا أردنا أن نعرف السلطة بطريقة بسيطة جدا بإمكاننا أن نقول بأنها عملية سيطرة الحاكم على الشعب من

خلال وسيط وهو القانون المتجسد في مختلف التشريعات، وهنا يتجه مفهوم السلطة نحو سيطرة الحاكم على الرعية، يقول في هذا الصدد: "تعرفون أن حق الحياة والموت في النظرة الكلاسيكية للسيادة، كان من الحقوق الأساسية... فماذا يعني أن يكون هناك حق على الحياة والموت؟ يعني أن للملك أو العاهل حق الحياة والموت، بمعنى أنه يستطيع أن يميت أو أن يمنح الحياة" (فوكو، 2013، صفحة 234)، وما يمكن أن نستشفه كذلك من هذا المفهوم الكلاسيكي للسلطة أن للحاكم حق الموت والحياة وما على الرعية أو الشعب إلا الخضوع له حفاظا على حياتهم، ويظهر هذا في قوله: "عندما يجتمع الأفراد من أجل إقامة مجتمع وإعطاء سلطة للعاهل، فلماذا يفعلون ذلك؟ يفعلون ذلك بدافع الخطر والحاجة، إنهم يفعلون ذلك ليحافظوا على حياتهم" (فوكو، 2013، الصفحات 234،235)، أما في عنوان الفصل الأخير من كتابه "إرادة المعرفة" قد لاحظ فيه الانقلاب الذي حصل في نهاية العصر الكلاسيكي بشأن حق الحياة والموت الذي يختص به الحاكم، فقد كانت سلطته على حياة رعاياه هي قبل كل شيء حق الموت، إذ هو لا يملي عليهم كيف يعيشون حياتهم ولكنه يملك حق سلبها منهم عن طريق انتزاع ثروتهم وخدماتهم وعملهم وقواهم وحياتهم أيضا (فوكو، تاريخ الإنسانية، إرادة المعرفة، 1990، الصفحات 138،139). أي أن السلطة تقوم على السيطرة والعقاب والحق في الموت، وبالتالي فإن صفات المعاقبة والسيطرة والقمع من أكثر المعاني التي تعبر عن مفهوم السيادة، لهذا فإن كان الحاكم يريد أن يظهر سيادته عليه أن يعاقب. كما يتحدث في كتابه "المراقبة والمعاقبة" عن أول حدث تجسدت فيه السيادة كانت في اللحظة التي يأمر فيها الحاكم بمعاقبة المذنب بالإعدام، إذ يصور لنا صورة مشؤومة قاتمة عن شخص اسمه داميان حكم عليه بالإعدام الذي يعتبر أشد أنواع العقاب.

لقد شهد الفكر الإنساني منعرجا تاريخيا وسياسيا مع نهاية القرن 19م تجلى في النمو الديمغرافي، زيادة اليد العاملة، الديمقراطية، خلق الثروة والإنتاج، التقدم العلمي والتكنولوجي، مما نتج عنه تغير في مدلول السلطة التي ارتبطت بالحياة بدلا من الموت مما أدى إلى ظهور السلطة الحيوية. وقد عبر عن ذلك بقوله: "يبدو لي أن إحدى الظواهر الأساسية في القرن التاسع عشر هي ما يمكن تسميته باهتمام السلطة بالحياة، أو بتعبير آخر، اهتمام السلطة بالإنسان بوصفه كائنا حيا، أي حدوث نوع من الدولة للبيولوجي" (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2013، صفحة 233). وانطلاقا من ذلك شرع فوكو بالحديث عن نوع مغاير للسلطة تنكب على الإحياء ورفض الموت كمحاولة لتحسين حياة البشر ونلمس ذلك في خطاب حقوق الإنسان وتجريم التعذيب والقتل والإبادة والعبودية، لكن في الحقيقة كان

السبب وراء ذلك هو الرغبة في الاستفادة من هذه الأجساد والتعامل مع الإنسان ككيان بيولوجي يمثل رأسمال.

وفقا لمنظور فوكو تظهر البيوسلطة وفق نموذجين، أولهما وهو الذي أطلق عليه "السياسة التشريحية للجسد" ويخص جسد الفرد من حيث ترويضه ومراقبته وتجويد مردوده، ويتم ذلك في كل المنظومات التنظيمية كالمدارس الدينية والعسكرية والسجن والمستشفى، والثاني يهتم بجسد الجنس البشري أي الرعاية كسكان أين يتم إدارة مساراته البيولوجية كالإنجاب والتكاثر والولادات والصحة والعمر الحيوي... (فوكو، تاريخ الجنسانية، إرادة المعرفة، 1990، صفحة 141) وهنا يظهر مفهوم السياسة الحيوية.

ومنه ففوكو بأفكاره كشف عن مفهوم جديد للسلطة ناتج عن تغير آلياتها وطرق ممارستها، والتي تفككت مركزيتها واستعاضت عن فكرة المعاقبة بفكرة المراقبة، لأن عملية الحكم بالموت أو سلطة الإماتة لم تعد تنفع أمام الواقع الجديد الذي وصفه بتعدد مؤسسات الدولة بها كالسجن والمستشفى والمدرسة ودور العبادة، فكل هذه المؤسسات أصبحت تشكل سلطة بوصفها ظاهرة تشخيصية محايدة لمشاكل الأفراد لهذا اسماها بميكروفيزياء السلطة (بغورة، 2013، صفحة 95).

إذن بالمفهوم الفوكاوي فإن السلطة في ظل السياسات الحيوية انفصلت عن مفهوم السيادة القائم على العقاب وارتبطت في المقابل بالإحياء قصد ضبط ومراقبة السكان كالبطاقات الإلكترونية، البصمة، كاميرات المراقبة وغيرها، فإذا كانت السلطة هي تفاعل بين الأطراف وعلاقات بين المؤسسات، فأين نجد الموت والعقاب؟ وإذا تم تغييرهما فما الذي أحل محلهما؟ يجيب فوكو أن السلطة تنهت بأن البشر الموجودين في المجتمع إذا أردنا أن نفرض عليهم سلطة عقابية فلن ينجح الأمر، فلا بد من اللجوء إلى سلطة جديدة المتمثلة في المراقبة والتي تنتج الضبط أي ضبط تصرفات السكان وحياتهم، وبذلك يتم تحويلهم من بشر بعقول وهويات وقيم إلى أجساد يمكن استغلالها للإنتاج (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2013، صفحة 238). وعليه فالحكومة في هذه الحالة لم تعد ترغب في إماتة الشعب بل إحيائه بوصفهم جسدا اجتماعيا كتوعيتهم حول الأمراض وضرورة اللقاح، ولتحقيق ذلك تحتاج إلى استراتيجية فجاء مفهوم السياسة والتي تتجه نحو التنظيم والمراقبة والضبط وهنا تبلور مفهوم السياسة الحيوية التي تعني تدخل السياسات في حياة الناس.

إن السياسة الحيوية حسب فوكو تقنية جديدة موجهة نحو البشر بوصفهم كائنات حية بيولوجية تعيش معا في وسط بيئي مشترك تتميز بعمليات خاصة كالولادات والوفيات والحالة الصحية وإنتاج الثروة، هذا ما ورد في قوله: "فالموضوعة المحتفظ بها هي السياسة الحيوية، وأعني بذلك الطريقة المستعملة منذ القرن الثامن عشر في محاولة عقلنة المسائل المطروحة

على الممارسة الحكومية والمتعلقة بالظواهر الخاصة بمجموعة من الأحياء، الذين يؤلفون جملة السكان: الصحة، نسبة المواليد، طول العمر..." (فوكو، دروس ميشيل فوكو، 1988، صفحة 59). والسؤال الذي يطرح نفسه أين القانون؟ وما الذي يسير عملية الضبط؟ يجب فوكو أنه لم يعد لوجود القانون أي ضرورة وأصبح لدينا ما يسمى بالمعيار (فوكو، تاريخ الجنسانية، إرادة المعرفة، 1990، الصفحات 145,146) أي أن السلطة أصبحت تصنفنا: طبيعي وغير طبيعي، فالطبيعي هو الإنسان العاقل الصحي السليم الفعال وهو المقدر عند الدولة بحيث يمكن الاستفادة منه ولا بد من منحه كل الامكانيات التي تدفعه للإنتاج، أما غير الطبيعي فهو المسلوب لكل هذه الصفات من مثل ذوي الاحتياجات الخاصة، المجانين، كبار السن، فهم ليسوا جزء من الجسد الصحيح المرغوب لدى الدولة فيتم تهميشهم ووضعهم في ملاجئ ومراكز خاصة.

على اعتبار أن العقل يرتاح لاختبار المفاهيم واقعيًا فيمكن أن نتساءل: هل هذه السياسات الحيوية تتعلق بدول معينة وتغيب في أخرى؟ وفقا لنظرة فوكو هناك عدة أنظمة للدول: سيادية، شمولية، ديمقراطية، رأسمالية وبغض النظر عن النظام الذي تتبعه هذه الدولة أو تلك فالسياسات الحيوية تكون جزءا منه، ولكن أكثر هذه المجتمعات نجاحا في تجسيد البيوسياسة هي التي تتبنى النظام النيوليبرالي الرأسمالي القائم على فكرة وجود البشر كحاجات استهلاكية، حيث يتم خلق حاجات جديدة لم تكن موجودة من قبل ليتم استهلاكها وخضوعهم للاستهلاك بهذه الطريقة يريح عمل السلطة. (بغورة، 2013، صفحة 159) لهذا فهي تعمل على حملات دعائية تسويقية كتعبير عن خلق حاجات جديدة للشعب، مثل: يمكن أن يكون شكلنا أجمل بواسطة عمليات التجميل، أو يمكن أن نحارب الشيخوخة بفضل هذا الفيتامين وهذه نماذج بسيطة أصبحنا نراها يوميا خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي والتلفاز وكلها تصب في مصلحة السلطة وهنا يتجلى مفهوم البيوسياسة كاستراتيجية للسيطرة على السكان وإنتاج الحياة نفسها.

هذا المفهوم أعيد تشكيله لاحقا في كثير من أدبيات السياسة والفلسفة، وأضحى لديه انتاجات جديدة كثيرة لا يمكن أن نعرج عليها جميعا، إذ هناك من انتقد هذا المفهوم واعتبر أن السياسات الحيوية يستحيل أن تكون سياسات إحياء حيث اتجهت إلى الإماتة بطرق جديدة وهذا ما أكد عليه المفكر الكاميروني أشيل مبمبي Ashil Mbembé، حيث اتجه بنقده لرؤية فوكو المتعلقة بالبيوسياسة والتي وصفها بسياسات الموت أو السياسات النكرووية (necrosis) باللاتينية ونخر بالعربية وتعني الموت المبكر لخلايا الجسم نتيجة اصابة خارجية) وهذا من خلال ورقته البحثية التي صدرت عام 2003، إذ جعل فوكو السيادة عبارة عن تنظيم تسيير

سياسي بيولوجي للسكان وهذا الفهم وفقا لمبمي غير جامع لتفسير الأنواع الجديدة للإكراه كالعبودية الاقتصادية والرقمية والعنصرية والتدخلات العسكرية، (mbembé, 2003, pp. 13-14) ويوضح ذلك بمثال عن أعمال الإبادات الجماعية المصغرة والمتفرقة التي يقوم بها الكيان الإسرائيلي على غزة.

4- ما بعد الإنسانية / الإنسانية المتجاوزة: الدلالة والسياق:

يصعب تحديد تصور دقيق لمصطلح الإنسانية المتجاوزة باعتباره مفهوما جنينيا أي في طور التشكل، وكذا مظلي يتضمن عدة اتجاهات ومدارس فكرية نذكر منها: البيولوجية التقدمية bioconservatism، {اتجاه فلسفي علمي يرفض النظرة الكلاسيكية للطبيعة البشرية التي تقول بأنها ثابتة، وبالتالي فهو يؤمن بإمكانية تعديل وتغيير طبيعة الإنسان}، التطورية الجديدة newdarwinien، {تيار يعتمد على الاكتشافات المعاصرة في علم الجينات والبيولوجيا الجزيئية بهدف التأسيس للنظرية التطورية الداروينية}، مناهضة الإنسانية antihumanism، {أو معاداة الإنسانية وتطلق على جميع الاتجاهات النقدية الراضية للإنسانية التقليدية التي تؤمن بمركزية الإنسان في الكون}،، الإكستروبيانسم extropianism، {اتجاه متفرع عن نزعة الإنسانية المتجاوزة وهي مرادفة للتفاؤلية العلمية إذ تؤمن بالتقدم والتطور الإنساني اللامحدود بفضل العلم والتكنولوجيا}، الإنسانية المتجاوزة transhumanism، ما بعد الإنسانية posthumanism، و كلها فروع تنحدر من أصل أعم يتمثل في الحركة الفكرية ما بعد الإنسان PostHuman. وما بعد الإنسان يعبر عن مجال عام يشير إلى كل الاتجاهات الفكرية الداعية إلى تخطي مركزية الإنسان بالمفهوم الأنواري وبصورته الجسدية والخطابية الإقصائية دون تغييب الذوات والكائنات الأخرى من قبيل: النساء، السود، الحيوانات، المجانين، المثليين، كبار السن، وعليه فهي جاءت لتتجاوز هذا المفهوم وبالتالي الحديث عن طراز جديد للإنسانية، وتعتبر نزعة ما بعد الإنسانية Posthumanism والنزعة الإنسانية المتجاوزة أو المتحوّلة Transhumanism أبرز فروعها.

هناك خلط ولبس واضح في توظيف المفكرين والفلاسفة لهذين المصطلحين، وهذا راجع حسب الفيلسوف البلجيكي جيلبرت هوتوا Gilbert Hottois إلى الإفتقار للحس النقدي، وكمحاولة لإزالة هذه الالتباسات وتوحيد الفهم ما بعد الإنساني في الأوساط الفكرية، أعيدت صياغة التسمية سنة 2008 وأصبحت الإنسانية الزائدة Humanity+ ويرمز لها بـ H+ تعبيراً عن نسخة ثانية للشريحة 2.0 (hottois, 2017, p. 223)

وعموما فإن مصطلح الإنسانية المتجاوزة/المتحوّلة يمثل الواقع الراهن تعبيرا عن تعزيز الإنسان وتحسينه بواسطة التكنولوجيا كإطالة العمر وزيادة الذكاء، فهي ترمز للعبور والتحول والتجاوز والتخطي والانتقال Trans، أما ما بعد الإنسانية فهي تمثل المستقبل

كمرحلة لاحقة ستصلها الإنسانية بفضل هذه التعزيزات فهي تمثل القطيعة Post (jouest-)، (courturier, 2016, p. 7) أي أنها لا تركز على التحسين التكنولوجي البشري ولكنها ترى أن التطورات التكنولوجية والعلمية تؤدي إلى تحول جذري في الطبيعة البشرية وفيها نصل إلى حالة التفرد Singularity التي تنبأ بها عالم الحاسوب الأمريكي راي كيرزويل Reymond kurzweil

وسنركز في دراستنا على النزعة الإنسانية المتحولة Transhumanism من منطلق أنها الأقرب لأهداف البيوسياسة ويمكن تعريفها بأنها حركة إنسانية وثقافية تستخدم التكنولوجيا من أجل تحسين الوضع البشري عن طريق زيادة القدرات الجسدية والعقلية والفكرية والعاطفية والحسية للبشر من خلال إزالة الشيخوخة والتخلص من الموت وهذا بفضل البيوتكنولوجيات الفائقة فهي بذلك تعبر عن طريقة في التفكير حول المستقبل حيث ترى أن الإنسان بشكله الحالي لا يمثل نهاية التطور وإنما مرحلة مبكرة فيه.

إن الإنسانية المتجاوزة تمثل تجلي ماهوي للوضع الفكري الراهن فهي تجسيد للحظة تاريخية تمخضت عن مفارقة خطابية سميت بأزمة الإنسان المعاصر أو موت الإنسان بالتعبير الفوكاوي، والتي يمكن رصدها تاريخيا بزوال الفكر النسقي وبروز الفكر ما بعد الحدائي وما بعد البنيوي الذي اتجه بنقده نحو التصور الغربي الأوروبي الديكارتي للإنسان، ونسف مقولاته: العقلانية، الوعي، الحرية، الاستقلالية، القداسة، التعالي، الرجل الأشقر المتحضر، وبالتالي شكلت انقلابا ضد مركزية الإنسان Anthropocentric

{وجهة نظر فلسفية تبلورت مع قيام النزعة الإنسانية التي تنظر للإنسان كاستثناء وبأنه مركز الكون} التي تغنى بها كثيرا فلاسفة الحدائة على أساس أن هذه الصفات لا تغدو كونها عرض مرضي ثقافي إقصائي يتجاهل الذوات الأخرى مثل فئة السود، النساء، المجانين، ذوي الاحتياجات الخاصة، المجرمين، الحيوانات، البيئة... وبالتالي خلق مفهوم جديد غير إقصائي. (الدواي، 2000، الصفحات 8-9)

لقد عمل طبيب الأعصاب النمساوي سيغموند فرويد على تقويض هذا المفهوم الأنواري للإنسان من خلال كشفه عن الجانب اللاواعي فينا والذي يحتل مساحة أكبر في حياتنا النفسية ويؤثر بشكل كبير وغير مباشر في سلوكياتنا وإدراكاتنا ومنه تشكل ذواتنا، ما نتج عنه تفكك مركزية الإنسان، هذه النظرة التفكيكية استدعت فوكو إلى إعلان صيخته الشهيرة بموت الإنسان رمزيا أي نهاية إنسان النسق المتعالي. (الدواي، 2000، صفحة 6)

إن هذه النهايات ولدت الحاجة إلى صياغة تركيب مفاهيمي جديد ذو حمولة انطولوجية وقيمية غير اختزالية أو إقصائية للذوات الأخرى، وبأسس جديدة تعمل على تجاوز الهيئة

الضعيفة المنهكة المتشظية للكائن البشري، في ظل هذه الظروف تمخضت حركة تبنت مفهوم جديد للإنسان يتجاوز الطرح الكلاسيكي القائم على ثنائية الجسد والعقل نحو تصور جديد قائم على أن للجسد دور قوي في تشكيل ذاتنا، (hottois, le transhumanisme est-il un)، humanisme!, 2014, p. 21) فمن خلال هذا الجسد يمكن الوصول إلى إنسان فائق، سريع، ذكي، قوي وخالد، هذا ما يمثل حلم ورغبة أزلية لدى الإنسان تضرب جذورها في أعماق التاريخ، فهذه ملحمة غلغامش الرافيدينية والتي تمثل أقدم نص أدبي يعبر عن سعي الإنسان للخلود.

وقد تجدد هذا الحلم والمسعى بفضل التطورات التكنولوجية الراهنة خاصة في المجالي البيوطبي، إذ تشكك حركة الإنسانية المتحولة في الفهم الحالي للإنسان، ليس بالضرورة من خلال إرثه الماضي والحاضر، ولكن من خلال الإمكانيات المكتوبة داخل تطورات البيولوجية والتكنولوجية المحتملة، ويعد تعزيز الإنسان مفهوما جوهريا لتفكير خبراء التحول الإنساني، وتحدد المفاتيح السحرية للوصول إلى هذا الهدف في العلم والتكنولوجيا بكل تنوعهما، كهيكل ناشئة وتكهنية من الطب التجديدي إلى النانوتكنولوجيا وإطالة العمر وتحميل العقول وبرمجتها وتقنيات التجميد وغيرها. وقد تغذى هذا التيار في أحضان التطور البيوتقني المتمظهر فيما يسمى بالعلوم المتقاربة (النانوتكنولوجيا Nanotechnology- البيوتكنولوجيا Biotechnology- المعلوماتية Informatics- العلوم المعرفية cognitive Sciences) والتي اختصرت رمزيا بـ NBIC حيث مكنت من فهم شفرة حياة الإنسان وبالتالي من تغيير مكنوناته وإعادة برمجتها جينيا وتقنيا. (ferry, 2016, p. 5)

إن أول ظهور لمصطلح تجاوز الإنسانية كان على يد البيولوجي البريطاني جوليان هكسلي Julian Huxley سنة 1957، حيث وردت في كتابه (كؤوس جديدة لبنيد جديد- New bottles for new wine) متحدثا فيه عن نوع جديد للتطور يستعين فيه الإنسان بالتكنولوجيا. وقد أصبح أكثر تداولاً فيما بعد بفضل الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك Peter Sloterdijk، وتحديدا سنة 1999م حيث وردت في محاضرة له موسومة

"بقواعد من أجل حظيرة بشرية"، وقد أشار به إلى اتجاه فكري يسعى لرسم براديفم جديد للإنسان وهذا بالاستفادة من منتجات التقنيات الفائقة NBIC (طاهير، 2023، صفحة 234) ما يسمح بالخروج من طراز الإنسان العاقل Homo-sapien إلى طراز ثان تكنو-إنسان-Techno sapien.

مع بداية الألفية الثالثة أخذت هذه الحركة الصفة الرسمية، وتم الاعتراف بها كمنظمة شرعية قانونية لا تسعى للربح وإنما تحقيق رفاهية الكائن البشري من خلال تحسينه وتعزيزه، وقد أسست لأجلها معاهد ومخابر دولية، وعقدت لأجلها الملتقيات والمؤتمرات، ووضحت قدرا

محتوما يفرضه واقعنا أين أصبحنا نشاهد التكنولوجيا تعانق جميع مناحي الحياة اليومية، فهذا الذكاء الاصطناعي صار يفرض نفسه، الهواتف الذكية، مختلف البرامج والتطبيقات الحاسوبية، عمليات التجميل والإنجاب الاصطناعي...وعليه للتعامل مع هذا الوضع نحتاج لإنسان معزز .

ويمكن إجمال النموذج النظري الذي يتأسس عليه فكر الإنسانية المتجاوزة في النقاط التالية :

-السعي نحو الخلود البشري من خلال محاربة العاهات والشيخوخة والموت.
-تجاوز الحدود البيولوجية من خلال الإغلاء من قدرات وكفاءات الكائن الإنساني كتجديد الشباب، التجميل، محاربة العقم والشيخوخة، زيادة الذكاء ومختلف القدرات الإدراكية والحسية.

-توظيف التكنولوجيات الفائقة لتحقيق هذه الأغراض.

- حتمية التطور البشري، إذ تنظر للإنسان بشكله الحالي على أنه مرحلة أولى للتطور الذي لا بد من عدم عرقلته والعمل على تسريع وتيرته بواسطة التقنيات. (ferry, 2016, pp. 18-19)

5- النتائج (Results): المقارنة بين الإنسانية المتجاوزة والبيوسياسة :

من خلال ما تناولناه توصلنا إلى ضبط تصور نزعة الإنسانية المتجاوزة باعتبارها مشروع يسعى لتجاوز الإنسان الحالي من خلال تعزيز قدراته الجسدية والذهنية وكذا تصور البيوسياسة باعتبارها تسعى لإخضاع البشر وتحاول إعادة إنتاجهم بواسطة ممارسات الإحياء، ولفهم طبيعة العلاقة بينهما لا بد من الوقوف على نقاط التشابه أولا.

يمكن التماس التقارب بين هذين المفهومين في عملية إخضاع الإنسان التي تعد صفة واضحة لكلاهما، بغض النظر إن كانت أخلاقية أو غير أخلاقية، ومنه: فهل الواقع يساعدنا على فهم هذه النقطة؟ فعلا، لو تطلعنا بشكل عام على وضعية العالم الراهن، فإننا نلاحظ تلك العلاقة الموجودة بين مختلف المؤسسات والأنظمة والتي وصفها زيغموند بومان Zygmunt Bauman بالمتداخلة والمتشابكة للحد الذي يمتنع فيه الفصل بين ما هو طبي عن البيولوجي والسياسي والاقتصادي والتاريخي والفلسفي... فلا يمكن الحديث مثلا عن شركة فيسبوك أو تسلا بأنها مستقلة عن الإدارة الأمريكية في سياساتها، فهي شركة عابرة للقارات لا تتواجد فقط في وادي السليكون، بل لها فروع في كل أرجاء العالم، لكن ذلك لا يمنعها أن تؤثر على اتخاذ القرارات السياسية، وبالتالي أصبح الاقتصاد والسياسة والأخلاق في بوتقة واحدة وكلها لا تبتعد عن التكنولوجيا، فحين نتساءل مثلا عن من يمتلك السلطة الآن: السياسة أم

التكنولوجيا؟ فإننا سنرجح كفة التكنولوجيا طبعا، ففي غياب الفيسبوك مثلا يجعل الجميع يتساءل متى يمكن إعادته.

وتتوضح هذه العلاقة أكثر عندما نتوغل في فهم موضوع التحكم السياسي في الجسد البشري، إذ أن مشروع التجاوز الإنساني لم يعد غريبا عنا، حيث أصبح يخدم عملية المراقبة، فكلما كانت السياسة قادرة على خلق حاجات في عملية تحسين الشكل والجسد وتجميله وتغييره وتعزيزه الإلكتروني، كلما كانت قادرة على ضبط المواطنين ومراقبتهم بشكل أكبر، ما يخدم سياسات الإحياء التي تصبو لمنع موت البشر وجعلهم يتمتعون بالحياة الصحية الشابة القوية والفائقة، وهذا خدمة للسياق العام أي للضبط والمراقبة.

ويمكن القول أيضا أن حركة الترانس تتقاطع مع البيوسياسية في تصور التفوق الذي لم يعد شيئا ذا شأن عدا أنه أساس التبادل الرأسمالي، إذ أصبح يرمج وفقا لمقتضيات السوق العالمية واحتياجات المستهلكين كبرامج الذكاء الاصطناعي وعمليات تغيير الجنس.

أما فيما يخص نقاط الاختلاف فيمكن اختزالها فيما يلي:

بالرغم من أنهما يشتركان في فكرة تحسين الإنسان بيولوجيا من خلال الانتقال من الطب الوقائي إلى الطب العلاجي ثم التحسيني، إلا أن البرنامج البيوسياسي لتحسين الإنسان الاجتماعي أخذ بعدا سلبيا من خلال فكرة تحسين النسل الانتقائي، إذ آل الأمر بالنظام النازي إلى تكريس مأساوي للنموذج البيوسياسي الحديث من خلال ارتكاب مجازر باسم هذا التحسين وعبادة العرق المتفوق والإنسان الجديد (جاكوب، دت، صفحة 296). أما بالنسبة لأهداف مشروع الإنسانية المتجاوزة فهي تقوم على تحسين الإنسان الإيجابي الموجه للجميع بحيث لا يكون في يد عرق أو فئة على حساب بقية الفئات، ولهذا فالتحسين والتعديل الجيني حسيهم هدفه خلق إنسان فائق يصلح للجميع.

هذا ويؤكد عالم الاجتماع نيكولا روز Nicolas Rose على تشكل براديجم جديد للبيوسياسية مع نهاية القرن العشرين، والذي فرض نفسه خاصة في المجتمعات الغربية نتيجة التطور التقنوعلمي والطبي، يختلف جذريا عن البيوسياسية الكلاسيكية التي تقوم على الصحة والمرض وتسعى للقضاء على الأمراض حفاظا على مصير الأمة وتحسين جودة السكان البيولوجية، وهذا النموذج الجديد يهتم بزيادة قدراتنا على التحكم في الحدود البيولوجية للإنسان باعتباره كائن حي مع إدارة تلك القدرات وتصميمها وتعديلها وإعادة تشكيلها، وهذا ما يمثل المسعى الأساسي لنزعة الإنسانية المتجاوزة التي تهتم بتحسين حياة الإنسان الفرد في حد ذاتها، وليس الإنسان في علاقته مع الغير أي السكان. (جاكوب، دت، الصفحات 301,300)

بالرغم من التشابهات والاختلافات بين البيوسياسية والإنسانية المتحوّلة إلا التعمق في تحليل كلا المفهومين نلمس نوع من التداخل بينهما، هذا التداخل سمح أن تقوم السياسات الحيوية

بعملية توظيف نزعة مثل الإنسانية المتجاوزة في خدمة أهدافها ومبادئها على أساس أن البيولوجية السياسية قائمة على الإحياء ومشروع الإنسانية الفائقة مرهون بفكرة الإعلاء من الكفاءات البشرية فهي تمنح أكبر قدر ممكن من الممكنات والاختيارات التي تخدم البشر كتعزيزهم وتطويرهم، وهنا نرصد انسجاما بينهما في المبادئ والأهداف والمصالح.

إن الانفجار البيوتكنولوجي المتزامن مع صعود النيوليبرالية كقوة سياسية واقتصادية يوضح مدى ارتباط البيوسياسة بالإنسانية المتحولة، حيث قدمت الفيلسوفة الإيطالية روزي بريدوتي Rozi Bridotti تصورا حديثا يتجلى فيه التقاطع بينهما مستلهمة أفكارها من قساوة الجرائم التي جرت سابقا والتي خلفت تراجع الحس الأخلاقي لمسببي العنف وضحاياه على السواء، مما أفضى إلى نوع من الهيمنة الأخلاقية في تحديد العلاقات بين البشر، وهذا ما جعلها تقر بأن السياسات الحيوية المتبعة من طرف الإنسانية المتجاوزة قد غيرت المحددات الفاصلة بين الحياة والموت، إذ تجاوزت التعامل مع سلطة الإحياء نحو أساليب الإماتة والتي تتمظهر بشكل جلي في الحوادث الاجتماعية والسياسية للإنسانية مشيرة إلى طرق الإماتة في عصر ما بعد الإنسانية التي أضحت لها أوجه متفرقة: الفقر، المجاعة، العنف، الأمراض، الحوادث، الحروب الفيروسية، التسابق نحو التسليح، الكوارث البيئية المفتعلة، الموت الرحيم... وكذا أساليب مختلفة للإحياء: التعديل الجيني، تجديد الشباب، الاستنساخ، التهجين (السيبورغ). (بريدوتي، 2021، الصفحات 123-124)

يمكن إعتبار الإنسانية المتحولة مشروعا تجريبيا يهدف للإحاطة بما تستطيع الأجساد المعاصرة التي تستخدم البيوتكنولوجيات الفائقة تحمله وأداءه، وعليه منح طرق سياسية مبتكرة وفائقة للسيطرة على السكان وفق نظام متطور تماما عن تسيير الجسد السكاني الذي إقترحه فوكو في نظم سيطرة الحكومة بيوسياسيا، ويمكن توضيح هذه الفكرة بمثال عن بنوك البيانات الخاصة بالمعلومات الجينية والعصبية عن الأفراد والتي تمثل في ظروفنا الراهنة رأسمال فعلي ومنتج، هذه التقنيات التي تمكنت منها الشركات الكبرى كفيسبوك، أمازون، علي بابا وغيرها، مما بسط نفوذها وقدراتها وسخرتها لخدمتها كأداة للسيطرة فوق سيطرة الحكومات التي اسهب فوكو في شرحها بكتاباتاته. (بريدوتي، 2021، صفحة 75) إذ أصبحت هذه المؤسسات بفضل مناصتها الإلكترونية جمهوريات رقمية ضخمة أعادت صياغة الجغرافيا السياسية بناء على توجه النيوليبرالية والتحكم اللامتناهي لأنظمة الرقابة التي تشكل عائقا أمام الجمهور وحرته، وهذا ما يفسر غلق وتقييد أغلب من قام بنشر صور وفيديوهات توثق فظاعة الإبادة التي تمارسها اسرائيل على شعب غزة.

وقد نوهت بريدوتي إلى أن هناك إشكالات متعلقة بالبيئة والصحة والجيوسياسة تخفي الفروقات بين الحياة والموت في ظل الإنسانية المتحولة التي تجعل صفة الموت شاملة لجميع البشر من خلال نظرتها للكائن البشري باعتباره ذات مرتبطة بمصير الذوات الأخرى (حيوان، نبات، بيئة). وتؤكد أيضا أن ما يعرف بالبيوتكنولوجيات الفائقة المبنية عليها فكرة التحول الإنساني لم يستفد منها الإنسان بقدر ما عانى من ويلاتها، فالسياسة الإيجابية الساعية لإقامة ممارسات منتجة لا تنكر واقع العنف والدمار وإنما تقترح بدائل للتعامل معه، والسياسة المعاصرة لما بعد الحرب الباردة شهدت قسوة لا مثيل لها في الممارسات الحربية وخاصة عندما نتحدث عن أشكال الحرب الجديدة المعتمدة على التقنيات الذكية. مثل: الدرون والروبوتات وعدسات القنص الذكية... والتي كان هدفها تجنب استهداف المدنيين والبنى التحتية، لكنها تحمل في طياتها مخاطر لا إنسانية، (بريدوتي، 2021، الصفحات 131-133) فهذه ضربات الطائرات بدون طيار خلفت خسائر في أرواح المدنيين بنسب أضخم من ذي قبل- وأحداث غزة الحالية أكبر شاهد على هذا المفهوم-، وهنا أصبحنا نتحدث عن استراتيجية جديدة للحرب توحى بأنها وجه خفي للخصخصة التجارية التي تتاجر بالموت محولة إياه حرفيا إلى سلعة ما يستدعي حسب بريدوتي تأطيرا معياريا جديدا للجوانب اللاإنسانية لتيار الإنسانية المتجاوزة.

6- مناقشة النتائج (Discussion): البيواتيقا كضابط أخلاقي لتجاوزات البيوسياسة

والإنسانية المتجاوزة:

بالرغم من أن البيوسياسة والإنسانية المتجاوزة تسعيان لتحسين الوضع البشري البيولوجي من خلال استثمار مخرجات التقنوعلمي والبيوتكنولوجيا، إلا أن إبقاء التطور في هذا المجال مفتوحا ينذر بمخاطر على البشرية، خاصة وأنها تتعامل مع جسم الإنسان كالبيضة بإخضاعه لمعايير الطلب والجمال كنوع من يوتوبيا السوق، وعليه فإذا كانت غاية كل من السياسة الحيوية والإنسانية المتحولة هي تحسين حياة الإنسان فإنه حق مشروع، إلا أنه من غير المعقول أن تكون من خلال إقصاء الأبعاد الإنسانية والقيم الأخلاقية، خاصة وأن الإنسان يعد كينونة متفردة بخصيصة العقل والوعي، ولهذا تحضر البيواتيقا (أخلاقيات الطب والبيولوجيا) كموجه لحركة البحث البيولوجي من أجل الحفاظ على كرامة الإنسانية، وقد حملت على عاتقها تجديد المسألة الأخلاقية لهذه التكنولوجيات والعلوم التي تحالفت مع الاقتصاد والسياسة لصالح الإنسان ظاهريا، لكنها تخفي انزلاقات غير مضمونة على الإنسان وبيئته، وذلك أن التقدم العلمي والتقني الذي وعد بمستقبل زاهر لم يف بوعده، بل إنه عمق من جراح الإنسان المعاصر، وإن ساعده في التغلب على بعض مشكلاته المادية والتقنية، بيد أن هذا التغلب والتحكم في ذاته ما فتىء منتجا لوضعيات جديدة تعج بالتساؤلات ذات الطابع

القيبي، (جديدي، 2021، الصفحات 169،168)، ومن هنا أضحت البيواتيقا حاجة ملحة وحلقة ضرورية للمجتمعات الحداثية وما بعد الحداثية باعتبارها ساحة لمعالجة التحديات التي أفرزها نمط الحياة المعاصرة.

7- خاتمة عامة :

من الصعوبة بمكان أن نجد إجابة مضبوطة لموضوع كهذا يخص مستقبل الإنسان وعلاقته بالمجال البيوطبي والسياسي والأخلاقي، فهو شديد الإرباك فيما يطرحه من مواضيع، وتزداد الصعوبة أكثر عند محاولة الجمع بين نزعتين تبدو إحداهما (البيوسياسة) مرتبطة بالماضي والحاضر، والأخرى أشد انجذابا للمستقبل، لكن بتقاربهما في فكرة تحسين الإنسان وقدراته الجسدية يمكن الحديث عن تواصل مفهوماتي بين نموذج "البيوسياسة" كما وضعه ميشال فوكو كنوع من السلطة السياسية تسعى للتحكم في الأفراد وإخضاعهم وضبط سلوكياتهم، ونموذج "الإنسانية المتجاوزة" باعتباره مشروع يصبو لبناء إنسان قوي فائق وخالد من خلال إخضاعه لمخرجات البيوتكنولوجيا الفائقة وصولا إلى تطوير طبيعته وتعزيزها. وبالرغم من أن فوكو وأنصار الإنسانية المتحوّلة أمثال ماكس مور وبوستروم لم يبيدوا أي اتصال مباشر في تأصيل المفاهيم الخاصة بهما، إلا أن تحليل النموذجين يؤدي إلى اعتبارهما تطورا خطيا ومباشرا لأفكار ومفاهيم متقاربة، حيث عمل نموذج البيوسياسة على توضيح الطابع البيولوجي للسياسة، فعندما حاول فوكو تناول موضوع البيوسياسة مطلع القرن الفائت، لم تتشكل بعد العلوم الجينية وتقنياتها الفائقة، ولكنه أشار بدقة إلى اللقاء بين السلطة ومجالات الحياة في عصر الرأسمالية، ونجد تجلياتها في الممارسات الشائعة ذات العلاقة بالجسد البشري باعتبار أن الإنسان رأسمال، وعليه كان لزاما الرجوع إلى البيولوجيا لفهم طبيعته وآلياته وأمراضه وعلاجها... والاستفادة منها وتوظيفها لتحسين قدرات الإنسان على الأداء، أي أن البيولوجيا بكل تفرعاتها تساعد السياسة والحكومة على فهم تقنو-علمي للفعل السياسي والنظر إليه كسلوك اجتماعي بمرجعيات بيولوجية ومنه النظر للإنسان من جانب بيولوجي جسدي، كما عمل نموذج "الإنسانية المتجاوزة" على توضيح كيفية الاستفادة من التقدم اللافت الذي أحرزه العلم والتكنولوجيا في إحداث تغيير جذري في مستقبل الكائن البشري، بغية جعله كائنا متفوقا وخارقا وقادرا على تحدي الأمراض والشيخوخة وقساوة الطبيعة، أي الإغلاء من إمكانياته، مما يشكل أرضية خصبة لأن تحقق البيوسياسة مآربها. وكمحاولة نقدية لكلا الاتجاهين يمكن القول إنه إن كان غرضهما الهيمنة على الكيان البيولوجي للإنسان، فهي تمهد لفصله عن ماهيته على نحو يقود إلى اغترابه عن ذاته الإنسانية، فلا شيء علمي أو طبي أو بيولوجي يضمن على نحو مطلق أن يتوجه تحسين

الإنسانية إلى الأحسن، بل قد يؤول إلى الأسوأ، خاصة وأن العبث بالطبيعة والجسد البشريين ما هو إلا سبيل لتهديم الأخلاق الكونية النابعة عن احترام الخصائص البشرية المشتركة. وهنا يأتي دور البيوتيقا المتمثل في إحياء البعد الإنساني لكلا النزعتين بواسطة رسم حدود أخلاقية لممارساتهما.

**

8- المصادر والمراجع :

1- المراجع باللغة العربية:

- أبو رحمة، أماني. (2020). أبعد من فوكو: السياسات الحياتية في عصر الجينوم. القاهرة، مصر: مؤسسة أروقة للدراسات والنشر.
- الدواي، عبد الرزاق. (2000). موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر-هيدغر-ستروس-فوكو-. بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- بريدوتي، روزي. (2021). ما بعد الإنسان. (حنان مظفر، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- بغورة، الزواوي. (2013). مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو. بيروت: دار الطليعة.
- جاكوب، فرانسوا وآخرون. (دت). الإنسان في مهب التقنية من الإنسان إلى ما بعده. (محمد أسليم، المترجمون) المغرب: مطبعة بلال.
- جديدي، محمد. (2021). الأفق البيوتريقي. الجزائر: دار ميم للنشر.
- طاهر، محمد. (2023). البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان -الهندسة الوراثية نموذجاً-. الجزائر: دار الموج الأخضر للنشر.
- فوكو، ميشيل. (1990). تاريخ الجنسية، إرادة المعرفة. (مطاع صفدي، المترجمون) بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي.
- فوكو، ميشيل. (1988). دروس ميشيل فوكو. (محمد ميلاد، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- فوكو، ميشيل. (2003). يجب الدفاع عن المجتمع. (الزواوي بغورة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

2- المراجع باللغة الفرنسية:

- Ferry, L. (2016). La révolution transhumaniste. Paris, un département d'édie 8, france: édition plan.
- Hottois, G. (2014). Le transhumanisme est-il un Humanisme! belgique: académie royale de belgique.
- Hottois, G. (2017). Philosophie et ideologies : Trans/Post humanities. france: librairie philosophique j.vrin.
- Jouest-courturier, B. (2016). le transhumanisme fout-il avoir peur du l'avenir. paris, france: groupe eyrolles

3- المقالات باللغة العربية:

- مراد، دنيا بن سعيد. (2017، جوان). البيولوجيا السياسية وفهم الشمولية: العنف والسلطة في فكر ميشيل فوكو وأنا أرندت. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، 44(2)، 207-222.

4- المقالات باللغة الإنجليزية:

- Mbembé, A. (2003). Necropolitics. (d. u. press, Éd.) lilby meintjes public culture, 15(1), pp. 11-40..